سلسلة مطويات شبكة بينونة

الرقعة الحقيقية

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فندال العازمي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد، نحمده ﷻ على ما أعطى من نعم، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد...

سأقف معكم في هذه النسائم الإيمانية والقيم الأخلاقية مع قصةٍ عظيمة يرويها أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ حيث قال: «وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، -دابة نفسية وفي ملبسٍ ومظهر جميل- فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ -نظر إلى ذلك الرجل-، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ -أنطقه الله ﷻ-، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ». قَالَ أبو هريرة: فكأني أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ ﷺ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ -الابن يراجع الأم والأم تراجع الابن- فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ -على وجه التعجب- حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»[1] الحديث متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٦)، ومسلم (٢٥٥٠) واللفظ لمسلم.

هذه القصة حفظكم الله قصة عظيمة وفيها قيم كثيرة جدًا سأذكر لكم قيمتين:

قيمة إيمانية وقيمة أخلاقية، وسأذكر لكم بعض الفوائد.

● **أما القيمة الإيمانية:** إن الله ﷻ على كل شيء قدير فقد أنطق الله ﷻ ذلك الصبي الرضيع كما أنطق ﷻ عيسى بن مريم وهو في المهد، وهذا يعطي المسلم قيمة إيمانية عظيمة في قلبه، عندما يعلم المؤمن يقينًا جازمًا أن الله على كل شيء قدير يتعلق قلبه به.

وتأمل قدرة الله ﷻ عندما شق القمر، وأخرج الماء من أصابع خير البشر، كل ذلك يدل على عظيم قدرة الله ﷻ، فإذا سكن ذلك في القلب ثم تغلّقت على العبد الأبواب وعلم أن الله ﷻ قدير فإن الله ﷻ قادر على فتح تلك الأبواب المغلقة، ومهما استصعبت الأمور فإن الله ﷻ قادر على تسهيلها.

ومتى تكالب الأعداء فإن الله ﷻ قادرٌ على كسرهم، ومهما عمَّ البلاء فإن الله ﷻ قادرٌ على رفعه، ومهما وقع الإنسان في شيء من الهم والمرض والمنغصات فإن الله ﷻ سيجعل بعد ذلك العسر يسرًا فإن الله ﷻ على كل شيء قدير.

● **أما القيمة الأخلاقية:** فهي أن على المسلم النظر في حقائق الأمور، ينظر إلى الجوهر، لا ينظر إلى الشكل والمظهر، الإنسان العاقل يزن الأمور بحقائقها لا بمظاهرها.

تأملوا الأمَّ رأت ذلك على هيئة جميلة خرج على الناس في زينته ومظهره وجماله فتمنَّت أن يكون ولدها مثله.

فأنطقه الله ﷻ ليُخبره عن حقيقة ذلك الرجل وأنه جبار، ولما رأت تلك الجارية تُضرب وتُتهم بالسرقة والزنا

فدعت الله ألا يكون ولدها مثلها، فأخبرها ذلك الولد أو الطفل بعد أن أنطقه الله عن حقيقتها، فلا يغتر الإنسان بالمظهر وإنما عليه بالحقيقة، فكم من مظلوم هو عند الله منصور وغير مظلوم، وكم من وضيعٍ هو عند الله عالٍ وكم من حقيرٍ في نظر الناس هو عند الله ﷻ غالٍ.

وتأملوا قول النبي ﷺ لبلال: «إني سمعت خشخشت نعليك في الجنة» [٢].

وقابل به قول الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد الآية:١].

رفع الله قدر بلال وهو عبدٌ حبشي فقير، رفع الله قدره في الدنيا والآخرة، وحط الله من أبي لهب وهو رفيع النسب غني عربي قرشي، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم» [٣]، هنا الحقائق.

لذلك يأتي الرجل يوم القيامة فلا يسوى شيئًا كما يقول ﷺ: «يأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» [٤].

أبو طالب غريق في لجة الهلاك، وسلمان الفارسي على ساحل النجاة، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه، وصهيب قدم بقافلة الروم، والنجاشي في أرض الحبشة، يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادي: الصلاة خير من النوم، وأبو جهل في رقدة المخالفة، من أبطئ به عمله لم يُسرع به نسبه.

---

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) بمعناهما.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

● أما الفوائد من هذه القصة على سبيل الاختصار:

الفائدة الأولى: رحمة الأم بالأبناء، هي الحاضنة هي المدرسة هي المربية هي المعلمة لولدها على أعتاقها وبتربيتها وتوجيهها تقوم الأجيال.

وإنما يحصل ذلك من الأم بالدعاء كما كانت تدعو هذه الأم لولدها، وبالاستعانة بالله ﷻ والتربية الصحيحة والتوجيهات السليمة.

ليس من الرحمة، وليس من حسن التربية أن تكون الأم بعيدة عن أبناءها بعيدة عن توجيههم وعن نصحهم، هناك بعض الأمهات وقليل ما هن تظن أن التربية وأن الرحمة بالقبلة والمعانقة فقط، كما أن الابن يحتاج إلى هذه الرحمة من الحب والاحتضان من عظيم رحمتك أن تغرسي في قلبه الخير، أن تغرس في قلبه العقائد الصافية والأعمال الطيبة والأخلاق الجميلة، فكما أن كل أمٍ تُحب أن تعتني بمظهر ولدها فعليها أن تعتني بمخبر ولدها وباطنه فتكتمل رحمتها.

الفائدة الثانية: محاورة الابن لأمه في حدود الأدب وحدود الرحمة وخفض الجناح.

في بعض الأحيان قد تريد الأم من رحمتها بالابن أمرًا لكنه غير صحيح وهذا حاصل، والابن يعلم أن هذا الشيء غير صحيح، فلابد أن تراجع أمك بحسن أسلوب وخضوع وسكينة وعطف وبكل أساليب الود لا يكن مثل بعض الأبناء رافعًا صوته على أمه يحاورها وكأنه يحاور صديقه، يناقشها وهو ينظر إليها نظرة اشمئزاز، والقهر والغضب ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسرَاء الآية: ٢٣].

الفائدة الثالثة: عدم التسرع في الحكم على الناس، ولابد أن يُقاس الناس بالميزان الصحيح، احذر من قيل وقال، فلان فيه، وفلانة فيها وسمعنا عن فلان، وقيل عن فلان كذا، ويقال عن فلان، وقد يُبتلى الإنسان ويُفترى عليه وهو فاضلٌ خيِّر خلوق، ويُرمى بالتهم وبما لم يفعل كما رمي جريج العابد بتهمة الزنا وبرأه الله ﷻ بأن أنطق الصبي واعترف بالحقيقة.

وهذا الباب بابٌ خطير التقول على الناس ورمي الناس بالتهم الباطلة هذا ظلم، فإذا ذكرت فيه «**ما ليس فيه فقد بهته**» [٥] كما قال النبي ﷺ، وإذا تكلمت بما فيه من عيب فقد اغتبته، و«**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله**» [٦]، «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» [٧].

الفائدة الرابعة: عدم استحقار الفقراء والمساكين، عدم النظر لأصحاب المهن القليلة أو الصغيرة بنظرة ازدراء وأنهم لا شيء في هذا الكون، وتنظر إلى نفسك بأنك أنت أنت.

فإن العمل بيد الله رزق أعطاك وأعطاه وابتلاك وابتلاه وأنت مبتلًا به وهو مبتلا بك، فلابد أن ينظر إليك بنظرة الحب وعدم الحسد، ولابد أن تنظر إليه بنظرة الرحمة لا استحقار فيها.

أتذكرون قصة النبي ﷺ عندما ماتت المرأة السوداء التي كانت تقم المسجد، امرأة كانت تقم المسجد أي تنظف المسجد، فماتت فدفنوها من الليل، فأخبرهم النبي ﷺ

---

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).
(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٧) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

لماذا لم توقظوني وكأنهم تقالوها قللوا من شأنها فغضب النبي ﷺ، جاء في الحديث: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» (٨).

يأتي من الناس من هو أشعث أغبر، تراه لا تلقي له بال، لكنه لو أقسم على الله لأبره، «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» (٩).

وجاء في الحديث: «لعلكم ترزقون بضعفاؤكم» (١٠) فلابد على الإنسان أن ينظر إلى هؤلاء بنظرة الرحمة والعطف والعون والمساعدة.

الفائدة الخامسة: ذم الكبر والتجبر، وهذه من الصفات الذميمة مهما تجملت، ومهما علت مناصبك، ومهما جمل كلامك، ومهما وصلت في هذه الدنيا من المناصب والمراتب والنسب إذا ذهبت أخلاقك ذهبت قيمتك، إذا تكبرت وتجبرت لم يكن في قلوب الناس لك قدر، ويوم القيامة يُحشر المتكبرون كأمثال الذر، الجزاء من جنس العمل.

الفائدة السادسة: كلمة نجاة، كلمة مهمة ينبغي على الإنسان أن يحافظ عليها كما كانت تقول الجارية: حسبنا الله ونعم الوكيل، مهما ظُلمت ومهما ابتليت ومهما افترى عليك الناس ومهما عاداك الناس كن مع الله ستجد النجاة بإذن الله، حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة قالها إبراهيم لما أُلقي في النار فكانت النار بردًا وسلامًا، وقالها النبي ﷺ حين جمع له الناس الجموع فانقلبوا بنصر وفضلٍ ولم يمسه ﷺ أذى.

---

(٨) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).
(٩) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).
(١٠) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤)، والترمذي(١٧٠٢)، والنسائي (٣١٧٩).

في الختام يجب علينا أن نتحلى بكل قيمة إيمانية، وأن نتجمل بكل قيمة أخلاقية، فقيمة المرء ما يُحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل، نسأل الله ﷻ أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأقوال، وأن يصرف عنا سيئها.

وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم كثيرًا، وجزاكم الله خيرًا.